ولطيف حكمته فكانها نطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح قال البغوي
والاول هو المنقول عن السلف وقال ابن الخازن القول الاول اصح لما دلت
عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف قال البغوي واعلم ان لله تعالى
علما في الجمادات لا يقف عليها غيره فينبغي ان يوكل علمه اليه ولكن لا تفقهون
اي تفهمون تسبيحهم اي لانه ليس بلغتكم انه كان حليما غفورا ولما ذكر
سبحانه وتعالى اثبات الالوهية اتبعه بذكر تقرير النبوة بقوله تعالى
واذا قرات القران اي الذي لا يدانيه واعظ ولا يساويه معهم وهو تبيان
لكل شيء جعلنا اي بما لنا من العظمة بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا مستورا اي يحجب قلوبهم عن فهم ما تقراه عليهم والانتفاع به قال
قتادة هو الاكنة والمستور بمعنى الساتر كقوله تعالى كان وعده ماتيا
مفعولا بمعنى فاعل وقيل مستورا عن اعين الناس فلا يرونه وفسره بعضهم
بالحجاب عن الاعين الظاهرة كما روي عن سعيد بن جبير انه لما نزلت تبت
يدا ابي لهب جاءت امراة ابي لهب ومعها حجر والنبي مع ابي بكر فلم تره فقالت
لابي بكر اين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال والله لا ينطق بالشعر
ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارضخ به راسه
فقال ابو بكر ما راتك يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بيني وبينها
يسترني وجعلنا اي بما لنا من العظمة على قلوبهم اكنة اي اغطية
كراهة ان يفقهوه اي يفهموا القران حق فهمه وفي اذانهم وقرا اي شيئا
ثقيلا يمنع سماعهم وعن اسماء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا ومعه ابو بكر اذ اقبلت امراة ابي لهب ومعها فهر تريد الرسول
صلى الله عليه وسلم وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا
فقال ابو بكر يا رسول الله معها فهر اخشاه عليك فتلا رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه الاية فجاءت وما رات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالت اني رايت قريشا قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك
هجاني فقال ابو بكر لا ورب الكعبة ورب هذا البيت ما هجاك وروي
ابن عباس ان ابا سفيان والنضر بن الحارث وابا جهل وغيرهم كانوا يجالسون
النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون حديثه فقال النضر يوما ما ادري
ما يقول محمد غير اني ارى شفتيه يتحرك بشيء وقال ابو سفيان اني لا ارى
بعض ما يقوله الا حقا وقال ابو جهل هو مجنون وقال ابو لهب هو كاهن
وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فنزلت هذه الاية وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اراد قراءة تلاوة القران قرا قبلها ثلاث ايات
وهي في سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
وفي النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي حم الجاثية افرايت من اتخذ

الهه

الهه هواه الى اخر الاية فكان الله يحجبه ببركة هذه الايات عن عيون المشركين
واذا ذكرت ربك اي المحسن اليك والهم في القران وحده اي مع الاعراض
عن الهتهم كان قلت وانت تتلوا القران لا اله الا الله تنبيه في نصب وحده
وجهان احدهما انه منصوب على الحال وان كان معرفة لفظا لانه في قوة النكرة
اذ هو في معنى منفردا والثاني انه منصوب على الظرف ولوا على ادبارهم نفورا
اي هربا من استماع التوحيد تنبيه في نفورا وجهان احدهما مصدر من غير اللفظ
مؤكد لان التولي والنفور بمعنى والثاني انه حال من فاعل ولوا وهو حينئذ
جمع نافر كقاعد وقعود وشاهد وشهود والضمير في ولوا يعود على الكفار
وقيل يعود الى الشياطين وان لم يجر لهم ذكر قال المفسرون ان القوم كانوا
عند استماع القران على اقسام منهم من كان يلهو عند استماعه روي انه عليه
الصلاة والسلام كان كلما قرا القران قام عن يمينه وعن يساره اخوان
من ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار ومنهم من
كان اذا سمع من القران ما ليس فيه ذكر الله تعالى بقوا مبهوتين لا يفهمون
منه شيئا ومنهم من اذا سمع ايات فيها ذكر الله وذم المشركين ولوا نفورا
وتركوا ذلك المجلس ولما كانوا ربما ادعوا السمع والفهم فشككوا بعض من
لم يرسخ ايمانه اتبعه تعالى بقوله تعالى نحن اعلم اي من كل عالم بما يستمعون
اي يبالغون في الاصغاء والميل كقصد السمع به من الاذان والقلوب اي
بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقران اذ يستمعون اي يصغون بجهدهم
اليك اي الى قراءتك واذ اي حين هم ذو نجوى اي يتناجون اي يرفع كل
منهم بسره الى صاحبه بعد اعراضهم عن الاستماع ثم ذكر تعالى ظرف
النجوى بقوله تعالى اذ وهو بدل من اذ يقول الظالمون وبقولهم ان اي ما
تتبعون الا رجلا مسحورا اي مخدوعا مغلوبا على عقله روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر عليا ان يتخذ طعاما ويدعو اليه اشراف قريش من
المشركين ففعل ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا
عليهم القران ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله حتى نطيعكم
العرب وتدين لكم العجم فابوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من النبي صلى
الله عليه وسلم القران والدعوى الى الله تعالى يقولون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
فان قيل انهم لم يتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يصح ان يقولوا
ان تتبعون الا رجلا مسحورا اجيب بان معناه ان اتبعتموه فقد اتبعتم
رجلا مسحورا وقرا ابو عمرو وابن ذكوان وعاصم وحمزة بكسر التنوين في الوصل
والباقون بالضم ثم قال تعالى انظر كيف ضربوا اي هؤلاء الضلال لك الامثال
التي هي ابعد شيء من صفتك بقولهم كاهن وساحر وشاعر ومعلم ومجنون
فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا اي فتسبب عن ذلك انهم لا يستطيعون

Copyright © King Saud University